الموديل

من « أتيليه » الكلية تتصـــاعد روائح متباينة من الزيوت والألوان والأجســام أنفاس تعلو وتتهدج ·· طاقات تحترق ·· نفوس تهدأ لتصخب من جديد ·· فى « الأتيليه » حوامل كثيرة عليها لوحات ··· يموج بينها شـــباب فى مستهل طريق الفن الشاق ·· الألوان على « البلتات » ·· تذخر بها ·· تحكى حكايات ·· والفرشات فى أيدى الشباب تعمل فى صمت ·· تنقل ما ارتسم على وجوههم ·· وما تحسه مشاعرهم ·· صراعات تبثها نفوسهم تترجمها أصابعهم فى رقة وانسياب ·· أو فى ثورة وهياج ··

أمام احدى اللوحات ·· كان يقف حسام أحد هؤلاء الشباب ·· وحسام صـــغير الحجم ·· نحيف ·· وســـيم ·· رقيق كالياسمينة ·· يدنو من لوحته ·· يبتعد قليلا ·· يبتعد ويبتعد ·· يتمايل ·· يلوح باشارات مبهمة ·· يعبر بأصابعه وفرشاته وعينيه ·· يعبر بكل جوارحه ·· لوحته أمامه ·· « الموديل » خلف اللوحة ···

« الموديل » .. فتاة جميلة .. رشيقة .. فى حركتها تمثل « فينوس » .. لكنها نائية عن « الاتيليه » .. وعن معقل الفن .. فقط عيناها على فنانها الصغير .. جسدها العملاق ونهداها النافران .. أمام الصغير رهن اشارته ..

... الصمت وحده يتكلم .. والفرشاة تحكى .. والعقل يسرح .. هذه الفتاة .. هذا الجسد العملاق اختارها نموذجا منذ ساقتها قدماها الى هذا المعبد .. يتخطفها من زملائه .. يغير عليها .. ولذا يحقد عليهم .. وجهها ها هو يتبدل كل برهة .. فمرة يراه وجه أمه .. ومرة وجه أخته .. وها هو الصغير يختلس النظر الى عيون زملائه .. يتحقق فى كيفيتها .. يدقق فى كميتها .. يحول بصره الى « فينوس » .. يرسمها كما يريد .. وكما تتوق اليه نفسه .. وكما يحس .. لكن « الموديل » .. « فينوس » التى أمامه حية تتنفس ... خداها حمراوان .. بلون الحياة .. تستطيع أن تنحنى أو تميل .. أو تصدر حركة .. أجمل من لوحته .. تحكى وتحكى دون أن تتكلم فالصمت وحده خير معبر ـ لوحة الخالق تفوق لوحتى جمالا وروعة .. انى مفتون .. مسحور كأنى لست أنا ..

« الموديل » تقرأ أحاسيسه وتدرك معنى نظراته .. تتأمل عوده الذى يذبل .. وعينيه التى تتسع ويشتد بريقها .. أرسلت بطرفها للفضاء البعيد .. تظل فترة .. يرجع بصرها وهو حسير .. تنظر حول قدميها .. تطرد فكرة من رأسها .. تنتزعها .. تعود لتمثل « فينوس » .. ترى ابتسامته الخائفة .. التقى نظريهما لحظات .. أشاح بوجهه فى ناحية أخرى .. عاد يتأملها .. تبتسم ويبتسم .. انها ترتاح .. بل تستمتع بالوقوف أمامه .. لا تمل ولا تتململ .. تشعر كأنها أميرة منذ أن أتت

مترددة الخطى ·· خائفة ·· وكانت الدنيا قد اسودت فى رؤيتها ·· وسدت الطرق فى وجهها ·· أتى زميل يدوس المحراب ·· أوقف بصوته الأحاسيس والانفعالات :

ـ ألم تنته بعد ؟ !

الصغير ينظر الى زميله شزرا ·· لا يجيب ·· والزميل يكرر سؤاله ·· ويجيبه باهمال :

ـ عليك بالانتظار ·

ـ الى متى ؟ ؟

ـ لا أعرف ·· لحين ·· لحين أن أنتهى ··

تفرس الزميل فى « فينوس » ·· نظراته تعريها ·· تذبح حياءها ·· تمزق عفافها ·· هكذا تشعر ·· وهكذا يشعر الصغير ··

تطاير الشرر من عينيه ·· ثم تفوه الزميل منذرا :

ـ سآخذها منك بعد ساعة ·

ساعة ·· ساعة واحدة قبل الاعدام ·· ماذا تفيد ساعة ؟ ·· وماذا تفيد كل ساعات العمر ؟ ؟ ·· يراها أخته ·· يراها أمه ··

يسلبونها منى بعد ساعة واحدة ·· تمتم متحديا :

ـ مستحيل ·· لن يحدث ·· لن يحدث ··

النار فى صدره تتأجج ·· « الموديل » تقرأ ما زالت ·· الرهبة تسرى فى عروقها ·· ماذا بعد مضى الساعة ؟ ان هذا الصغير لا يمس حياءها ·· والأخير سيعريها مثلهم جميعا ·· فى عينيها قرأ الرعب والفزع ··

مـرت الساعة أقل من لحظة .. جـاء الزميل تحمل شفتاه ابتسامة ساخرة .. ثغش الديك عن ريشه .. وكشر عن أنيابه .. اخترقت مخالبه الأرض .. فتح طاقتى أنفه وضـــغط على ضروسه .. وخرجت من فمه كلمات الرفض كالطلقات ... شقت الكلمات الصمت ورنت فى المكان .. ترك كل ما بيده .. التفوا حولهما .. الدهشة تعلوهم جميعا .. الزميل يوجه اليه نظرات الاستخفاف والتهكم .. أخالها ملتفحة بملاءة بيضاء .. تنأى عنه كأنما تودعه .

تأملها فى لهفة ولوعة .. لوى رأسه ناحية زميله الساخر .. كاد أن يهجم عليه الا أن الزمـــلاء أحالوا دون رغبته .. اندفع حسام ناحية لوحته حين تذكر شيئا .. أدارها فأخفى « فينوس » عن العيون .. هدأ قليلا .. تناقلت الأنظار والتقت النظرات .. انتشرت الهمسات .. قذف الزميل بفرشاته وخرج من «الاتيليه» والكلية .. فض النزاع فركن كل الى عمله .. تنفست «فينوس» براحة بعـد أن زال ما جثم على صـدرها .. تفرست فى مالكها الصغير .. بعوده النيل وعينيه ذات البريق .. انه بطل عملاق .. استطاع أن ينتشلها من بين أنياب الوحوش .. كم ترتاح اليه .. تعانقت عيناهما .. اتسعت شفتاه بابتسامة عريضة .. طأطأ رأســه فى حياء .. شعره أســود .. يلمع مثل عينيه .. شعرت كأنها سعت اليه .. لمست شعره وتحسسته براحتها .. ركعت على ركبتيها .. وأطلت فى عينيه ..

انصرف الزملاء واحدا تلو الآخر .. انصرف أيضا «الموديلات» .. وعامل « الأتيليه » تحطمت كل القيود .. بحـــرية تتنفس « فينوس » .. أطلقت لنفسها العنان .. الصغير الوسيم ما زال عملاقا تراه .. يقلب ألوانه .. « الأتيليه » صامت .. واللوحات

صامتة ·· رفع رأسه « فينوس » رائعة ·· جذابة ·· فاتنة ·· رائحة الألوان فى أنفه ·· قصد اليها بخطوات متثاقلة ·· دنا من لوحة الخالق ·· اصطدمت عيناه بمصادر الفتنة وأسباب الجمال ·· الشيطان يدخل « الأتيليه » ·· انصرف الجميع ·· فى المكان شاب وفتاة ·· رجل وأنثى ·· اتسعت ابتسامة الشيطان ·· فهو الثالث الجبار ·· حتما سيكتب له النصر والغلبة ··

ـ سيكون ألعوبتها ·· وهى ألعوبتى المفضلة ··

دنا الشيطان مستبشرا ·· الصغير يتأمل وجه « الموديل » ·· لم ير وجه أمه ·· الشيطان يحوم حوله لم ير وجه أخته ·· بل رأى « فينوس » ·· ما زال يرى وجه « فينوس » ·· نفسه أيضا تتحرك ·· رائحة غريبة تملأ أنفه ·· يفكر ويفكر ويعمق التفكير ·· نحا الشيطان الى « فينوس » ·· الصغير كالمسحور ·· الشيطان يبتسم ·· يحوم حول « فينوس » ·· تبعه حسام ·· حام حولها مثله ·· خصلات شعرها نائمة مستسلمة ·· الشعر أسود مسترسل ·· تأتى نسمة ·· الخصلات تتماوج ·· الشيطان يضحك ·· رائحة تتسرب فى كيان الصغير ·· الرائحة مخدرة ·· المكان صمت يصرخ ·· « الموديل » أمامه مستسلمة لا تتحرك ·· طاف حولها ثم طاف ·· « فينوس » لا تتحرك ·· ذهبت رائحة الألوان ·· طغت رائحة الأنوثة ·

الصمت والاستسلام ·· النفس والشيطان ·· رائحة الأنوثة الطاغية ·· والشباب « فينوس » تتلوى فتبعث فى جسده النيران نظر فى « الأتيليه » ·· « الموديل » تتلقفها الأيدى ·· تنهشها العيون ·· النظرات مجنونة محمومة ·· سقطت حبة عرق فى عينيه ·· أغمضها ·· « الموديل » فتاة عارية ·· تتحسسها الأيدى لتدرك ملمسها ·· هكذا قال الفن ·· سكن عن التفكير ·· لمعت

عيناه ·· فى الشوارع فتيات ·· لسن « موديلات » يتسكعن ·· يتقافزن فتتراقص نهودهن ـ لا يخفين من أجسادهن سوى القبيح ·· شبه عاريات ! ·· على الشواطىء عاريات مثيرات ·· خلف الجدران عاريات فاجرات ·· « فينوس » من الملابس عارية بحكم الأيام ·· تلبس لباس الشرف ·· هكذا يشير ماضيها ·· وهذه عيناها تؤكد ·· من أجل العيش أتت « فينوس » ·· من أجل أن ·· أن تلتقى ·· انمحت ابتسامة الشيطان ·· النفس الأمارة محتجة ·· يد الشيطان تمتد الى مخالب النفس ·· يتآبطان ·· الصمت يسود المكان ·· رائحة الأنوثة طاغية جبارة ·· النظرات هائمة حالمة ·· قطرات العرق تتصبب من جسد « فينوس » ·· الشيطان يحوم حول « فينوس » يدعو الصغير ·· « فينوس » مطأطئة الرأس لا تبدى حراكا ·· يلمحها الصغير ·· يرفع رأسها ·· دموع « فينوس » تتألق فى عينيها ·· الشيطان والنفس على أشدهما ·· فى عينى « فينوس » قرأ العتاب ·· قطرات العرق تسيل براقة على جسد « فينوس » ·

جف حلق الصغير ·· الشيطان يقف بينهما ·· « فينوس » ترتعد ·· يتأملها الصغير ·· يراها أخته ·· يغمض عينيه ·· يعاود البصر فيراها أمه ·· يبتسم الفنان وتبتسم « فينوس » ·· الشيطان ثائر ·· الصغير يطبع قبلة على جبين « فينوس » ·· دموعها تتدفق ·· جمدت النفس ·· طأطأت رأسها اجلالا ·· تباعد الشيطان قبل أن يحرقه لهيب الحب ·· اختفى ·· هدأت نفس الصغير ·· ضحكت « فينوس » من الأعماق ·· استنشق الصغير النسيم ·· زالت الرائحة الغريبة ·· يتنسم رائحة الزيوت والألوان ·· نظر فى « الأتيليه » ·· اصطدمت عيناه باللوحات ·· كل تحمل « فينوس » ·· اندفع اليها ·· مزق كل لوحة ضمت

« فينوس » .. ذهب الى لوحته .. تأملها .. نزعها برقة .. لفها برفق .. جذب يد « فينوس » .. خرجا معا من « الأتيليه » ومن دار الفن ...

فى صباح اليوم التالى كانت عيون الطلبة تتنقل فى ذهول بين الصغير المبتسم .. وأشلاء اللوحات ..

وأحدا لم ير « فينوس » بين الموديلات ..